﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾﴾

[الأنبياء: 72]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

يـكـرِمُ الـلـه تـعـالى أنـبـياءَه بـمـعـجـزاتٍ وهـبـاتٍ لـقـاءَ صَـبْرهـم على الإيذاء

لَمّا أُولِدَ لإبراهيم رغم شيخوختِه وعُقم امرأتِه وكان ذلك دالًّا على الاقْتدارِ على البعث الَّذي السّياقُ كلُّه له؛ قال: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾، ولَمّا كان قد يُظنُّ أنَّه - لتولُّدِه بين شيخٍ فانٍ وعجوزٍ مع يأسها عقيم - كان على حالةٍ من الضَّعف، لا يُولَدُ لمثله معها، نفَى ذلك بقوله: ﴿وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾؛ أيْ: زيادةً على ما دعا إليه إبراهيمُ ﷺ، ثمَّ قال: ﴿وَكُلًّا﴾ من هؤلاء الأربعة ﴿جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ﴾[1]، وإذا كان إبراهيم واحدًا واجَه جماعةً؛ فأرادوا به كيدًا؛ فإن الله جعله أمة وحده، وإذا كان الإنجاء في قوله: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا﴾ الآية من الفوز العظيم لإبراهيم المقابل لجعل قومه الأخسرين؛ فإن تلك الهبة منه أيضًا؛ فظهر بذلك كله أن هذه الآية من تمام الآيتيْن قبلها.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَوَهَبْنَا﴾: (وهب): يُقال: وهَبْتُ الشَّيءَ هِبَةً ومَوْهِبَةً وموهبًا، واتَّهبتُ الهبةَ: قبلتُها[2]، والهِبَةُ: أن تجعلَ ملكَكَ لغيرك بغيرِ عِوَض، قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ﴾ [ص: 30]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾[3]، ويُوصف الله بالواهب والوهّاب بمعنَى: أنَّه يُعطي كُلًّا على اسْتحقاقه[4].

(1) البقاعي، نظم الدُّرَر: 12/ 448.
(2) ابن فارس، المُجمَل: (وهب).
(3) الرّاغب، المُفردات: (وهب).
(4) البيهقيّ، الأسماء والصّفات: ص97.

2) ﴿نَافِلَةً﴾: (نفل): النَّفْلُ والنّافلةُ: عَطيَّةُ التَّطوُّع؛ ومنه: نافلةُ الصَّلاة، فالنَّفْلُ: الزّيادةُ على الواجب، ويُقال له: النّافلة، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾ [الإسراء: 79][1]، وقولُه تعالى: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةً﴾؛ أيْ: ولَدُ الوَلد، فهو الزّيادةُ على الولد[2]، ووردَ أنَّ النّافلةَ هنا بمعنَى العطيَّة، وإسحاقُ ويعقوبُ عليهما السلام كلاهما من عطاء الله أعطاهما إيّاه[3].

3) ﴿صَٰلِحِينَ﴾: (صلح): يُقال: صَلُحَ الشَّيءُ يَصلُح صلاحًا، ويُقال: صَلَحَ بفتح اللّام، ويُقال: صَلَحَ صُلُوحًا، والصَّلاحُ: خلافُ الفساد؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا﴾ [الأعراف: 56][4]، وقولُه تعالى: ﴿وَكُلّٗا جَعَلۡنَا صَٰلِحِينَ﴾؛ أيْ: كلٌّ واحدٍ من هؤلاء الأربعة: إبراهيم ولوط وإسحاق ويعقوب، جعلناه صالحًا عاملًا بطاعة ربِّه تاركًا لمعاصيه[5].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

هباتُ الله لنبيّه إبراهيمَ عليه السلام لا تنقطع

وهبَ اللّهُ ﷻ نبيَّه إبراهيمَ عليه السلام حين اعتزَلَ قومَه إسحاق، وبعد ما كَبُرَ سِنُّه وكانت زوجتُه عاقرًا قد أصابها اليأس من الإنجاب؛ بشَّرته الملائكة بإسحاقَ، وزاد نافلةً له يعقوبَ بنَ إسحاق عليهما السلام[6].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ الواو في ﴿وَوَهَبۡنَا﴾:

الجمعُ بين معجزتَيْن لنبيّ الله إبراهيم

الواوُ في قولِه تعالى: ﴿وَوَهَبۡنَا﴾ عاطفةٌ لفعلِ الهِبَة على فعل الإنجاءِ المتقدِّمِ في قوله تعالى: ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ﴾؛ فجمع اللّهُ له معجزتيْن:

(1) ابن فارس، المُجمَل، والرّاغب، المُفردات: (نفل).
(2) ابن جرير، جامع البيان: 17/ 48، والشَّوكاني، فتح القدير: 3/ 569.
(3) ابن أبي حاتم، تفسيره: 8/ 2457، والبغوي، معالم التَّنزيل: 5/ 330.
(4) ابن فارس، مقاييس اللُّغة، والرّاغب، المُفردات: (صلح).
(5) الخازن، لباب التَّأويل: 3/ 303، والشَّوكاني، فتح القدير: 3/ 569.
(6) السّعدي، تيسير الكريم الرّحمن: ص470.

الإنجاءَ من كيدِ أعدائه والحرقِ بالنَّار، وهبتَه الولدَ ووَلدَ الولد، وزوجُه عاقرٌ وقد بلغ من الكِبَر عِتيًّا، وقد أشارَ ﷺ إلى هبة الله لإبراهيمَ ولدَه إسماعيلَ بالإشارةِ إلى نجاتِه إلى الأرضِ المباركة مكَّة وما حَوَتْ وما حولها من منًى وعَرَفاتٍ والمشعرِ الحرام[1]، وكأنَّ هذه الهبة من آثار البركة المذكورة في قوله: ﴿ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ﴾، ثم يجمعُ بين هذه الهبة والتّنجية من قبلها ويؤلِّف بينهما تفصيل فوز إبراهيم وفلاحه في مقابلة حال قومه في قوله تعالى: ﴿فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ﴾.

إيثارُ ﴿وَوَهَبۡنَا﴾ مادَّةً وصيغةً:

آثرَ النَّظمُ الكريمُ الفعلَ في قوله: ﴿وَوَهَبۡنَا﴾ لبيان أنَّ الله تعالى وهب نبيَّه إبراهيمَ إسحاقَ ويعقوبَ عطيَّةً وفضلًا منه تعالى من غير أن يكون جزاءً مُستحقًّا، وقد كان إبراهيمُ في حال شيخوخته وكانتِ امرأتُه عقيمًا؛ فجاءت هذه الهِبَةُ مِنَّةً من الله على نبيّه وزوجه، فكما أنَّ اللّهَ يعطي الولَدَ لمَن لا تلدُ في العادة البشريَّة؛ فكذلك هو سبحانه يُحيي يوم القيامة النّاس ويبعثُهم من قبورهم، وهذه الهبة قائمةٌ في علم الله مُتحقِّقةٌ في قدَرِه؛ فلهذا نظمت فعلًا ماضيًا، وأُسْنِدَ فعلُها إلى نون العَظَمَة لبيان قدرة الله في هبة ما يشاءُ لِمَن يشاء[2].

الـلـهُ يـهـبُ ما يشاءُ لمَن يشاء عطيَّةً منه، وإن تخلَّفت الأسباب

فائدة الضّمير في ﴿لَهُۥ﴾، وتقديمه على ﴿إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ﴾:

في قولِه تعالى: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥ﴾ جاء القَيْدُ ﴿لَهُۥ﴾ تصريحًا بأنَّه سبحانه وهبَ لإبراهيمَ إسحاق، ومن ورائه يعقوب ﷺ؛ لبيان أن إبراهيم في حال الامتنان والهبة هو إبراهيم في حال البلاء؛ حين أراد به قومه كيدًا وألقوه في النار؛ تمهيدًا لذِكْر صفة الإمامة في آية: ﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا﴾ [الأنبياء: 73]؛ فمِثْلُه إمامٌ يُقتدى به،

حَصْرُ النُّبوَّةِ في ذريَّـة إبراهيـمَ ﷺ أعـظـمُ الهبات الإلهيَّة

(1) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 9/ 893.

(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 22/ 160، والبقاعي، نظم الدُّرَر: 12/ 448.

وقد خصَّ الله إبراهيم بذلك؛ فسياق الامتنان يُشعر بأنَّ تقديم: ﴿لَهُۥ﴾ على: ﴿إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ للقصر والاختصاص، وقد جعلهما معًا مع أنَّ إسحاقَ أبٌ ويعقوبَ ابنُه؛ لأنَّهما كانا نبيَّيْن، وذلك لِعِظَم منزلة إبراهيم وشرفِ مكانته عند الله، وتوالتِ النُّبوَّةُ في ذُرِّيَّته إلى خاتم الأنبياء محمَّد ﷺ، ولعل ذلك كان إجابة لدعاء إبراهيم: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الصّافّات: 100][1].

إكـــرامُ الـلـه لإبـراهـيـمَ في حـيـاتـه مع كِـبَرِ سِنّه بولدٍ وحفيدٍ

سرُّ تخصيصِ إسحاق ويعقوب:

خصَّ النَّظمُ الكريمُ إسحاقَ ويعقوبَ عليهما السلام بالذِّكْر؛ لأنَّ هبةَ إسحاقَ لإبراهيمَ عليه السلام ازْديادُه له على الكِبَرِ، وبعد أن يئستْ زوجُه سارَّةُ من الولادة؛ وهبةَ يعقوبَ ازديادُه لإسحاقَ بنِ إبراهيمَ في حياةِ إبراهيم، ورؤيتُه إيّاه كهلًا صالحًا[2]، فذِكْر يعقوب من تمام الامتنان على إبراهيم وكماله.

ولادةُ يعقوب زيادةٌ وفضلٌ من غيرِ سؤال

سِرُّ اختصاص يعقوب بكونه ﴿نَافِلَةً﴾:

النّافلةُ: الزّيادةُ غيرُ الموعودة، وقولُه تعالى: ﴿نَافِلَةً﴾ جاء في حقِّ يعقوبَ خاصَّةً؛ لأنّ الله تعالى أكرمَ به نبيَّه إبراهيمَ عليه السلام زيادةً وفضلًا من غيرِ سؤال[3]، وإن كان قولُه تعالى: ﴿نَافِلَةً﴾ حالًا من إسحاقَ ويعقوبَ؛ كان المعنى: عطيَّةً زائدةً، وهو شأنُ الحالِ الواردةِ بعد المفردات أن تعودَ إلى جميعها[4]، لكنَّ يعقوب عليه السلام جاء زيادةً على ما سأل وهو إسحاق، فتختصُّ بيعقوب، ولا لَبْسَ فيه؛ للقرينة الظّاهرة[5].

عـطـاء الـلـه وإحـسـانـه إلى أوليائه لا حدَّ له

دلالةُ الواو والتَّنوين في قوله: ﴿وَكُلًّا﴾:

الواو في قوله: ﴿وَكُلًّا﴾ عطفت ما بعدها على ما بعد الواو في

(1) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 9/ 4894.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 17/ 109.
(3) الزَّمخشري، الكشّاف: 2/ 578.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/ 716، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 17/ 109.
(5) أبو السّعود، إرشاد العقل السَّليم: 3/ 716.

قوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ على جهة التَّرقِّي في ذِكْر عناصر الامتنان؛ فهبة الوجود سابقة على جعلهم صالحين، وإذا كان وجودُ إسحاق ويعقوب على جهة الهبة في سياق تأييد إبراهيم الموهوب بالفوز والفلاح في مقابلة جعل قومه ﴿ٱلْأَخْسَرِينَ﴾: فإن في ذلك بذرة أن يكونوا صالحين؛ إذ مِن شأن مِثْلِ إحسانه تعالى على مِثْل إبراهيم ﷺ أن يتم ويكمل، وأن يلتقي طرفا حلقته، ويكون مقطعها أشبه بمطلعها، والتَّنوينُ عِوَضٌ عن المضاف إليه؛ أيْ: وكلُّهم جعلْنا صالحين، والمُرادُ: إبراهيمُ وإسحاقُ ويعقوب، لأنَّهم الَّذين كان الحديثُ الأخير عنهم، وأمّا لوطٌ ﷺ؛ فإنَّما ذُكِرَ على طريق المَعيَّة، وسيُخصّ بالذِّكر بعد هذه الآية[1].

سرُّ تقديم ﴿وَكُلًّا﴾ على عامله:

الأنبياءُ هم مجمَعُ الخيرِ والصَّلاح

تقدَّم قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا﴾ على عامله؛ فلم يَقُلْ: وجعلنا كُلًّا؛ لمزيد الاهتمام بهؤلاء الأنبياءِ البَرَرةِ الأخيار، وتخصيصهم بالثَّناءِ من الله عليهم بنُبوَّتهم الَّتي هي مجمعُ الخيرِ والصَّلاحِ والفلاحِ لهم ولغيرِهم، وفي التقديم مع ضميمة لفظ المقدم تنبيه لطيف على سبْق تهيئة كُلِّيَّاتهم لأنْ يتّصفوا أو تتّصفَ بالصّلاح، وعلى شمول الصّلاح كُلِّيَّةَ كلٍّ منهم.

إيثارُ ﴿جَعَلْنَا﴾ مادَّةً وصيغةً:

ليس جزاء الإحسان إلا الإحسان

لفظُ ﴿جَعَلْنَا﴾ فيه معنى التَّهيئة والتَّصيير؛ فقوله تعالى: ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ﴾؛ أيْ: صالحين في أنفُسِهم مُهيَّئين - لطاعتِهم لله - لكلِّ ما يُريدونَه، أو يُرادونَ له، أو يُرادُ لهم[2]، وقد تحقَّق هذا الجعلُ فيهم، فكانوا خيرَ ترجمةٍ عمليَّةٍ لهذه التَّهيئة الرَّبّانيَّة؛ لذا جاء النَّظمُ الكريمُ بصيغةِ الماضي والمُسنَد إلى نونِ العظمةِ الإلهيَّة: ﴿جَعَلْنَا﴾؛

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 17/ 109.
(2) البقاعي، نظم الدُّرَر: 12/ 448.

ففي الجَعْل معنى إصلاح الله لهم؛ ليكونوا صالحين صلاحًا عليًّا في بابه، وصيغةُ الماضي فيها إشعارٌ بأن هذا الجَعْل كان مصاحبًا للجَعْل في قوله: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾؛ وكأنّه من جزاء إبراهيم على صبره على كيد قومه له؛ كما أن الماضي في: ﴿وَوَهَبْنَا﴾ كذلك.

نكتةُ التَّعبيرِ بلفظ ﴿صَٰلِحِينَ﴾:

جريان الصلاح في النسل نعمة عظيمة

الصَّلاحُ في الأنفُسِ رتبةٌ عظيمةٌ من رُتبِ القُربِ إلى الله، لذا وهبَها اللهُ تعالى لكلٍّ من الجدِّ والابنِ والحفيد؛ أيْ: جعلهم من المستقيمين في طريقِهم إلى الحقّ، وفي ذلك إشارةٌ إلى أنَّ العاصي هالكٌ، لا يصلُح لشيءٍ وإنْ طالَ عمرُه، واشتدَّ أمرُه؛ لأنَّ العبرةَ بالعاقبة، وذلك إذا بقيَ على عصيانِه دون توبةٍ صادقةٍ منه[1]، والظاهرُ أن الصلاح في نفسه ليس صفةً خاصَّةً بالأنبياء، فلا تكون مناط مدح أحدٍ منهم بها على إرادة أصل الاتّصاف بها، وإنّما على إرادة العلوِّ فيها، وجهةُ الامتنانِ والمدحِ هنا هو اتّفاقهم جميعًا في الصّلاح.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الهبة والإعطاء:

الهبةُ تملك المال وليس في الإعطاءِ تمليك

الهبَةُ تقتضي التَّمليك، فإذا وهبتَه المال فقد ملَّكتَه إيّاه، وأمّا الإعطاء فهو اتّصالُ الشَّيءِ إلى الآخذِ له، ألا ترى أنَّك تُعطي زيدًا المالَ ليردَّه إلى عمرو، وتُعطيه ليتّجرَ لك به، ثمَّ كَثُرَ استعمالُ الإعطاء حتَّى صار لا يُطلقُ إلّا على التَّمليك؛ فيُقال: أعطاه مالًا إذا ملَّكه إيّاه، والأصل ما تقدَّم[2].

النّافلةُ والزّيادة:

النّافلةُ: عَطيَّةُ التَّطوُّع، وهي الزّيادةُ على الواجب، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾ [الإسراء: 79]؛ أيْ: زيادةً على الفريضة،

(1) البقاعي، نظم الدُّرَر: 12/ 449، وأبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 9/ 4894.
(2) العسكري، الفروق اللُّغويَّة، ص: 59.

كلاهما مُشترِكٌ في معنى الزّيادة، ولكنَّ مفهوم الزّيادة أوسع

وتُطلقُ النّافلةُ على ولَدِ الولد، فهو الزّيادةُ على الولد[1]، وأمّا الزّيادةُ: فهي النُّموُّ، يُقال: زادَ مالُ فلان بما ورثَه عن والده، فالزّيادةُ: أن ينضمَّ إلى ما عليه الشَّيءُ في نفسِه آخر، يُقال: زِدْتُه فازداد نحو: ﴿وَنَزۡدَادُ كَيۡلَ بَعِيرٖۖ﴾ [يوسف: 65]، وقد تكون الزّيادةُ محمودةً نحو: ﴿۞لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ﴾ [يونس: 26]؛ أي: النَّظرُ إلى وجه اللّه الكريم، وقد تكون مذمومة كالزّيادةِ على الكفاية، وما فيه نوعُ سَفاهة، وقد تكون الزّيادة معنويَّةً وحسّيَّةً، كما في: ﴿وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ﴾ [البقرة: 247][2].

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة، والرّاغب، المفردات: (نفل).

(2) العسكري، الفروق اللُّغويَّة، ص: 551، والكفوي، الكلّيّات: 2/ 406، والرّاغب، المفردات: (زيد).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والثلاثون،
سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والثلاثون، سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 33 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-75-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 33 : المجلد الثالث والثلاثون، سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-75-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1130605 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»